

مقتطفات من كتاب: " الطب النفسي والغرائز (1) " الباب الثاني: " غريزة العدوان " الملحق (2)
" ليالي ألهم ليلة " ل نجيب محفوظ: القتل بين مقامى العبادة والدم (2) [OBI]

نشرة "الإنسان" 2022/10/16

السنة الخامسة عشرة - العدد: 5524



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر



.....

والآن لنواكب القتل حكاية حكاية:

1- صنعان الجمالى

التنشيط الخطر .. بين التفكير والتروى

هنا: قتل غريب حقا!!

1- لأن القاتل ليس قاتلا بطبيعته !! فهو رجل طيب، رجحت كفة خيره بشهادة العفريت ذاته وشهادة الناس: "فهو من" الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم"، أما شهادة العفريت.. "لا أنكر أيضا مزايك، ولذلك رشحتك للخلاص (ص28)", .. قلت "هذا رجل خيره أكثر من شره" (28)، أما شهادة الناس.. "كانت له منزلة بين التجار والأعيان، وكان من القلة التى يحبها الفقراء" (ص35)

2- وهو غريب لأن القتل ليس واحدا، والقتيلان ليسا متجانسين، فالضحية الأولى طفلة بريئة، والقتيل الثانى حاكم ظالم

3- وتشتد غرابته أكثر حين يبدو الدافع للقتل بلا مبرر شخصى ظاهر.

فما هى الحكاية ؟ لم القتل؟ هذا القتل؟ ومن هذا القاتل بالذات؟

إن هذه الحكاية الأولى أزعجتى حتى كدت أعدل عن أخذها بكل هذه الجدية التى لاحت لى إبتداء، تلك الجدية التى غمرتتى فور قراءتها بتكثيف متلاحق، ولكنى عجزت عن التهرب وتماديت، ولتحملى القارئ:

صنعان الجمالى شخص عادى، تاجر تغلب عليه الطيبة، لكن عليه أن يساير ويمالى، وأن يُسكت ضميره حتى يسير حاله مثله مثل الآخرين، وهو يحاول التكفير والتعويض بالطيبة والصدق وبعض

لأن القاتل ليس قاتلا بطبيعته !! فهو رجل طيب، رجحت كفة خيره بشهادة العفريت ذاته وشهادة الناس: "فهو من" الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم"، أما شهادة العفريت.. "لا أنكر أيضا مزايك، ولذلك رشحتك للخلاص (ص28)",

هو غريب لأن القتل ليس واحدا، والقتيلان ليسا متجانسين، فالضحية الأولى طفلة بريئة، والقتيل الثانى حاكم ظالم

تشتد غرابته أكثر حين يبدو الدافع للقتل بلا مبرر شخصى ظاهر. فما هى الحكاية ؟ لم القتل؟ هذا القتل؟ ومن هذا القاتل بالذات؟

حين ينشط هذا الكيان الداخلى الفطرى المر [5] فإنه ينطلق ابتداء بقوة الغرائز الدافعة نحو ارتقاء تكفيرى، وقد تحدد

التكفير هنا بقتل رأس الظلم (الحاكم)، هكذا: مرة واحدة!

من ذا الذي يقتله؟ شخص
لم يُعرف من قبل شيئاً عن
القتل، ولأن المسافة واسعة
بين الحياة الأولى، واليقظة
الأخيرة، فإن التنشيط يندفع
في عنقه تخبطي، فلا
يكتفي بإحياء القتل: وسيلة
لتحقيق إلهام خبيث بقصاص
مبادل، ولكنه ينشط معه -
ربما بحق الجوار! "الجنس
الغريزي الفج" + "القتل
العشوائي الجبان

إذن، فقد ثار الداخل
(العدوان أولاً) نحو الخير
من حيث المبدأ (قتل
الحاكم الظالم)، ولكن من
أين له بضبط الجرعة وتوجيه
الدقة؟

مع نشاط الجنس المحرم
والشهوة بلا ضابط يندفع
عدوان آخر ليقتل طفلة إذ
يغتصبها ثم يزهق روحها
رعباً ونذالة، فيجتمع الجنس
والعدوان في أدنى مراتب
البدائية... فهو وجه الجنون
القبیح!

هنا يصل نجيب محفوظ
بحدسه إلى ما لم تصل إليه
أي من العلوم النفسية إلا
فرضاً مجتهداً غير مقبول
من أغلب المختصين، فهو
يؤكد وجهى الجنون (6] معاً

أليس الذى نشط الدفع نحو

العبادة (المحسوبة)، غير أن هذه الحياة الودية المتصالحة مع الظلم - رغماً عنها بشكل ما - ليس لها ضمان، إذ لا دوام لاستقرارها لمن يتورط في إكمال المسيرة، أو بتعبير أدق: لمن يضطر لإكمال المسيرة، وحين يخبس مثل هذا الشخص العادى داخله بما في ذلك حسه الجماعى إذ يخذره بالتدبير والسلبية والانسحاب: "استأنسنى بسحر أسود" (ص15)، فإنه قد يُنشط فجأة إذ "يدق الزمن... دقة خاصة في باطنه فيوقظه" (ص13) (لاحظ: في باطنه)، حين ينشط هذا الكيان الداخلى الفطرى الحر (5] فإنه ينطلق ابتداء بقوة الغرائز الدافعة نحو ارتقاء تكفيرى، وقد تحدد التكفير هنا بقتل رأس الظلم (الحاكم)، هكذا: مرة واحدة!، ومن ذا الذى يقتله؟ شخص لم يُعرف من قبل شيئاً عن القتل، ولأن المسافة واسعة بين الحياة الأولى، واليقظة الأخيرة، فإن التنشيط يندفع في عنق تخبطي، فلا يكتفي بإحياء القتل: وسيلة لتحقيق إلهام خبيث بقصاص عادل، ولكنه ينشط معه - ربما بحق الجوار!: "الجنس الغريزي الفج" + "القتل العشوائى الجبان"، وذلك نتيجة التوازن بين الداخل والخارج: فلا الداخل النشط - بغير مناسبة ظاهرة - قادر على ضبط الجرعة (جرعة الثورة للتكفير عن مسالمتة للظلم وممالاته للجارى) ولا الخارج القديم بمستطيع العودة إلى السيطرة على الموقف برمته (بما في ذلك ثورة الداخل)، فالمتغير الذى حدث ببداية حسنة الاتجاه (ومُرعبة معاً) سرعان ما غيّر اتجاهه إلى غير ذلك بلا قصد واضح، وبألفاظ أخرى: إن التغير الذى فرضه الداخل بدا وكأنه حفزٌ إلى أعلى، وإذا به يتردى (بمساعدة المنزول - ولكن ليس فقط بسببه) إلى حيث لا يدري، وها هو صنعان يخرج فى الصباح لأول مرة فى حياته منذ صار صيباً دون صلاة (ص19)، ثم توغل فى حال يتعذر الهيمنة عليها (ص29)، فهو الجنون أو ما شابهه، فراح يخبط فى الظلام مشعت العقل (ص21)، ويمضى هذا التنشيط الغريزي الفج يسحبه إلى أدنى فأدنى تسوقه أخيلة مَعْرِبة (ص21)، وإذ يستيقظ الجنس البدائى المنذفع، يفجر خياله إلى ما سبق حظره: إلى المحرمات دون موانع... وتذكر نساء من أهله شبعن موتاً، فتمثلن له عاريات فى أوضاع جنسية، فأسف على أنه لم ينل من إحداهن وطراً (ص21).

إذن، فقد ثار الداخل (العدوان أولاً) نحو الخير من حيث المبدأ (قتل الحاكم الظالم)، ولكن من أين له بضبط الجرعة وتوجيه الدقة؟ ومع نشاط الجنس المحرم والشهوة بلا ضابط يندفع عدوان آخر ليقتل طفلة إذ يغتصبها ثم يزهق روحها رعباً ونذالة، فيجتمع الجنس والعدوان فى أدنى مراتب البدائية... فهو وجه الجنون القبیح!

وهنا يصل نجيب محفوظ بحدسه إلى ما لم تصل إليه أى من العلوم النفسية إلا فرضاً مجتهداً غير مقبول من أغلب المختصين، فهو يؤكد وجهى الجنون (6] معاً، فبالإضافة إلى هذا التردى، يظهر الوجه الإيجابى بشكل مباشر.. "ما طابتك بشر قط" (ص23)، ولكن أليس الذى نشط الدفع نحو قتل الظلم هو الذى نشط الجنس البدائى والقتل الجبان الهارب؟ نعم هو كذلك، ولست أرى كيف استطاع محفوظ أن يلتقط هذه الحقيقة المعقدة، حيث لا يقتصر تنشيط المستوى البدائى للوجوه على جانب لاون آخر، كما لا يمكن ضمان التحكم فى مسار تنشيط أى منهما وخاصة حين يثور هذا المستوى فى سن متأخرة، وبعد حياة راتبة، نجح صاحبها فى إخفاء بقيته بتسكين [فاعى متزايد.

ولألتمس العذر مرة ثانية من القارئ، وأعيد سلسلة أفكارى (فروضى) بأسلوب آخر:

(1) صنعان الجمالى رجل هادئ، تاجر، فى منتصف العمر،

(2) خدر داخله ليواصل إنحرافاً مشروعاً (مثله مثل غيره)

(3) كان فى ذلك يمالئ الدنيا ويدارى الحاكم

(4) لم يثته ذلك عن مواصلة العبادة وعمل بعض الخير الظاهر

(5) وفجأة: (بدون مقدمات ظاهرة) ثار داخله وقرر التكفير بمبالغة غير مفهومة في الظاهر، إذ تقرر له أن يقتل الحاكم (خلاصًا لروحه وللناس)

(6) بدلا من أن يتم التغيير في هذا الاتجاه الخير، فوجيء صنعان أنه غير قادر على تحمل مسئولية الحقيقة أو الإمام بأبعادها

(7) ثار في نفس الوقت -مع ثورة الداخل- دافع الجنس المكبوت (نحو المحارم والأطفال.. الخ)، وكذلك ثار دافع الهرب الجبان قتلا وكذبا

(8) في الجولة الأولى رجحت كفة هذه الدوافع في صورتها السلبيه دون قدرة من جانبه على كفه شعوريا بعد انهيار الكبت التلقائي (الآلي) فحدثت جريمة هتك العرض وقتل الطفلة.

وهكذا يتجاوز محفوظ نفسه، ويخرج من الصورة التي كان محبوسا فيها في أول كتاباته حين كان يرسم المقدمات (الظاهرة) بحيث تؤدي - حتما - إلى النتائج المتوقعة، بشكل يؤكد معنى الحتمية السببية (النفسية)⁽⁷⁷⁾ (وبعض النقاد لا يرتاحون إلى هذا النوع من الحتمية الذي لا يطمئن إليه إلا مستوى معين من القراء.

هكذا استطاع محفوظ أن يوصل إلينا بكل جسارة: أن رجحان كفة هذا التنشيط البدائي في الاتجاه السلبي لم ينجح أن يلغى استمرار الاتجاه الإيجابي الذي ما نشط-أصلا-إلا ليحققه، فينقذ صنعان نفسه مرة أخرى إذ يواصل سعيه لإنجاز مهمته الأولى، فيؤكد الحقيقة التي قدمناها ويعلنها مباشرة بأنه: ليس هو مغتصب الطفلة فقاتلها.. إنه شخص آخر، القاتل المغتصب شخص آخر، نفسه تتمخض عن كائنات وحشية لا عهد له بها) ص23، إلا أن إنكاره نفسه هذا لا يصح ولا يفيد، لأنه هو القاتل المجرم [أون غيره، وفي نفس الوقت فهو أيضا كان التاجر الطيب المثالي، ثم هو هو-أخيرا-القاتل العابد الأوب، وإنكاره القتل الجبان المجرم يعلن ضمنا رفضه أن يكون هو كله ليس سوى هذا الجزء القاتل، مجرد جزء من ذاته دون بقية الآخرين (داخله)، إذن فليواصل ليتعرف على الباقي، على بقية ناس الداخل، وخاصة القاتل العابد فيه، وما أشق ذلك.⁽⁸¹⁾

إنها مهمة شاقة جدا.... ، وها هو يريد أن يتردد، ولكن إذا كان الذي أطلق دافع القتل العبادة هو رفض الاستمرار في انحراف خفي لم يعد يطيقه (من داخل)، فإن قتل الطفلة قد أصبنا دافعا جديدا إلى تكفير أزم.. فهي مهمة القتل العبادة وهي أسهل من قتل البنت الصغيرة! ص27، بل لعلها أصبحت الطريق الوحيد للخلاص، ويحاول صنعان أن يعزو الجريمة إلى التنشيط البدائي لداخله (كما يحاول البعض أن يعفى المجنون من مسئوليته دون تحفظ)، فلا يجد أمام صدق الداخل إلى ذلك سبيلا، يقول لقمقام⁽⁹¹⁾ مدافعا (ص28)

- لولا اقتحامك حياتي ما تورطت في الجريمة

فقال (قمقام) بوضوح

- لا تكذب، أنت وحدك مسئول عن جريمتك

وهذه رائعة أخرى من روائع محفوظ الحُدسية، فهذا هو الجنون بعمق تناقضاته، وهذه هي المسئولية بعمق الوجود، وليس بمنطق الشفقة الخائبة أو تبريرات القانون الوضعي، وإذا كان للجنون جانب تدميري، فجانبه الآخر ارتقائي بناء لو واصل المسيرة، الفرصة متاحة: ما زالت الحياة تتسع للتكفير والتوبة: خلاص الحى من رأس الفساد وخلص نفسك الأثمة (ص28).

وهكذا يتواصل الدفع، وتقام صلاة القتل! فيتوكل على الله⁽¹⁰⁾ ويقتل الظلم ويدفع الثمن، وهو لا ينجو

قتل الظلم هو الذي
نشط الجنس البدائي والقتل
الجبان الهارب؟ نعم هو
كذلك

لسبب أدري كيف استطاع
محمفوظ أن يلتقط هذه
الحقيقة المعقدة، بحيث لا
يقتصر تنشيط المستوى
البدائي للوجود على جانب
دون آخر، كما لا يمكن
ضمان التحكم في مسار
تنشيط أي منهما وخاصة
حين يثور هذا المستوى
في سن متأخرة، وبعد حياة
رائية، نجح صاحبها في إخفاء
بقية بتسكين دفاعي
متزايد

يتجاوز محفوظ نفسه، ويخرج
من الصورة التي كان
محبوسا فيها في أول
كتاباته حين كان يرسم
المقدمات (الظاهرة) بحيث
تؤدي - حتما - إلى النتائج
المتوقعة، بشكل يؤكد
معنى الحتمية السببية
(النفس)

استطاع محفوظ أن يوصل
إلينا بكل جسارة: أن رجحان
كفة هذا التنشيط البدائي
في الاتجاه السلبي لم ينجح
أن يلغى استمرار الاتجاه
الإيجابي الذي ما نشط-
أصلا-إلا ليحققه

أن إنكاره نفسه هذا لا
يصح ولا يفيد، لأنه هو
القاتل المجرم دون غيره،
وفى نفس الوقت فهو أيضا
كان التاجر الطيب المثالي،

هذه المرة كما نجا من الجريمة الحقيقية الأولى إلا ليتم الثانية التي تبدو أنها ليست جريمة أصلاً بل قصاصاً وصلاته، فيأتي بعد ذلك إعدامه جزاءً للجريمة الأولى، واستشهاده في الصلاة الثانية في نفس الوقت، وهكذا يذهب بطلاً ولو رغم أنه "كن بطلاً يا صنعان، هذا قدرك" (ص34).

.....
.....

(نواصل الأسبوع القالم) 2- جمصة البلطى (قتل تكفيرى آخر)

مع رجاء قراءة النص حتى يصدر النقد، مع الشكر

- [1] يحيى الرخاوى، كتاب "الطب النفسى والغرائز (1) غريزة الجنس" (من التكاثر إلى التواصل) و"غريزة العدوان" (من التفكير إلى الإبداع) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2022)

- [2] تحديث محدود لمحاضرة "الغريزة الجنسية" ألقيتها فى منتدى أبو شادى الروبى (15/12/1998) ضمن نشاط محاضرات لجنة الثقافة العلمية: المجلس الأعلى للثقافة.

- [3] صدر هذا النقد فى عمل لى فى "قراءات فى نجيب محفوظ" الطبعة الأولى (1990) الهيئة العامة للكتاب، والطبعة الثانية (2005) والطبعة الثالثة (2017) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى .

- [4] بدءاً من هذه الحلقة سوف أنشر الحلم مكتماً أولاً، وذلك بعد ما وصلتني رسائل متعددة، واحتجاجات منطقية، نأسف أنها لا تستطيع أن تتابع النقد دون الرجوع إلى "المتن الأصلي" فقررت أن أجرب اليوم أن أنشر المتن مكتماً قبل النقد.

- [5] تسميته بالضمير هو أقرب تسمية شائعة، لكنها غير دقيقة بالمرّة، فهو كيان أعقد، وأكثر تلقائية، وأقرب إلى صدق الغرائز من الضمير بالمعنى الأخلاقى التأنيبى المعيق.

- [6] أقصد بالجنون هنا تحديداً: تنشيط الداخل البدائى ليعمل مستقلاً وعلى حساب الخارج الواقعى.

- [7] Psychic determinism (deterministic causality) - أنظر أيضاً بالمقارنة: بين استمرار فتحى غانم فى تأكيد هذا النوع من الحتمية السببية فى حين تطور نجيب محفوظ إلى الحتمية الغائية teleological causality ، وذلك فى قراءة نقدية للكاتب لرواية "الأفيال" لـ (فتحى غانم) "الحلم .. القبر.. الرحم" مجلة الانسان والتطور الفصلية عدد يوليو (1983) (ص108-136)

- ثم ظهرت فى مجموعة "قراءة فى مستويات وجدل الوعى البشرى .. من خلال النقد الأدبى (2019) "دراسة "الحلم .. القبر.. الرحم فى "الأفيال" لـ (فتحى غانم) (ص 81) - منشورات جمعية الطب النفسى التطورى.

- [8] يحيى الرخاوى: "قراءة فى مستويات وجدل الوعى البشرى .. من خلال النقد الأدبى" (2019) دراسة "الحلم .. القبر.. الرحم فى "الأفيال" لـ (فتحى غانم) (ص 81) - منشورات جمعية الطب النفسى التطورى.

ثم هو هو-أخيبراً-القاتل العابد الأواب، وإنكاره القتل الجبان المجرم يعلن ضمناً رفضه أن يكون هو كله ليس سوى هذا الجزء القاتل، مجرد جزء من ذاته دون بقية الآخرين (داخله).

ها هو يريد أن يتردد، ولكن إذا كان الذى أطلق دافع القتل العبادة هو رفض الاستمرار فى انحرافه خفى لم يعد يطيقه (من داخل)، فإن قتل الطفلة قد أصبح دافعا جديداً إلى تكفير الزم.. فهى مممة القتل العبادة وهى أسمل من قتل البنات الصغيرة !

هذه رائعة أخرى من روائع محفوظ الحدسية، فهذا هو الجنون بعمق تناقضاته، وهذه هى المسئولية بعمق الوجود، وليس بمنطق الشفقة الخائبة أو تبريرات القانون الوضعى

يتواصل الدافع، وتقام صلاة القتل! فيتوكل على الله [10] ويقتل الظلم ويدفع الثمن، وهو لا ينجو هذه المرة كما نجا من الجريمة الحقيقية الأولى إلا ليتم الثانية التى تبدو أنها ليست جريمة أصلاً بل قصاصاً وصلاته

يأتى بعد ذلك إعدامه جزاءً للجريمة الأولى، واستشهاده فى الصلاة

الثانية في نفس الوقت،
وهكذا يذهب بطلاً-ولو
رغم أنه "كن بطلاً يا
صنعان، هذا قدرك

- [9] لا تنس أن ق مقام هو صنعان الجمالي .
- [10] يتضح ذلك بوضوح فيما بعد، ولكن بالنسبة لجريمة
أخري- (ص56) ماذا دفعك إلى ارتكاب جريمتك الشنعاء (قتل
خليل الهمداني الحاكم) فيجيب بوضوح " أن أحقق ارادة الله" ..
وسنرجع الى ذلك.

ارتباط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD161022.pdf>

ارتباط كامل النص

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ba%d8%b1%d8%a7%d8%a6-21/>

" جائزة البحث العلمي علي زيعور

لشبكة العلوم النفسية العربية 2022

شروط الترشح للجائزة

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2022/APNprize2022.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الويب

22 عاما من الضج... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

كتاب " حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AIHassad2021.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>